مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد 01 يناير 2022 ص ص: 345-360
ر ت م د (ISSN): 2602-618X /ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

تاريخ تلمسان الثقافي من خلال علماء وشعراء الفترة الزيانية

Tlemcen's cultural history through scholars and poets of the Zayani period

بن ساحة بن عبد الله♦

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم الجزائر bensahaabdallah66@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/12	تاريخ القبول: 08/31/	تاريخ النشر: 2022/01/31

الملخص باللغة العربية: كانت مدن المغرب الأوسط مراكز إشعاع للفكر والعلم والثقافة، تضاهي مثيلاتها مثل فاس ومراكش، كما عرفت بجاية وتلمسان عدة مدارس للعلم والثقافة والفكر، و احتلت تلمسان مكانة مرموقة في المغرب الإسلامي، حيث أولاها المرابطون أهمية خاصة حيث بنوا فيها المسجد الأعظم فقد احتضنت تلمسان عددا من المراكز الثقافية والعلمية جعلها تستقطب الكثير من العلماء والأدباء، ففي عهد الزيانيين استقطب سلاطين بنو زيان العديد من العلماء والمفكرين، وأنشأوا الكثير من المدارس العلمية والفكرية، وسنتطرق في هذا البحث إلى دور المغرب الأوسط في نشر العلوم في جميع المجالات إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، وسأتكلم عن حاضرة تلمسان في العصر الزياني التي ساهمت في نشر الحركة الفكرية والعلمية، وسأتكلم كذلك عن أهم العلماء الذين برزوا في تلمسان أيام الزيانيين وعن مجالاتهم الفكرية المتنوعة، الذين نشأوا في تلمسان أو الذين قدموا إليها من الأقطار الإسلامية الأخرى، وسأتكلم كذلك عن تشجيع سلاطين بنو زيان للحركة الفكرية وذلك بإنشاء الكثير من المدارس في جميع المجالات المختلفة واستقطاب الكثير من العلماء والأدباء، وعن العوامل التي ساعدت في نشر الحركة الفكرية في تلمسان، وعن علاقة التأثير والتأثر لدى علماء تلمسان مع علماء المشرق و المغرب.

الكلمات المفتاحية: تلمسان؛ العلماء؛ بنو زيان؛ الشعر؛ الثقافة.

Abstract: The cities of the Middle Maghreb were radiation centers of thought, science and culture, comparable to those in the Morocco like fez and Marrakech, Bejaia and Tlemcen knew several schools of science, culture and thought .Tlemcen occupied a prominent place in the Islamic Maghreb, where the Almoravids placed a special importance on it, where they built the Great Mosque. Tlemcen has hosted a number of cultural and scientific centers, which

♦ أواكلي أحمد

made it attractive to many scholars and literati During the era of the Zianites, the Sultans of Banu zian attracted many scholars and thinkers, and established many scientific and intellectual schools. In this research, we will address the role of the Middle Maghreb in spreading science in all fields to various countries of the Islamic World. And I will speak about the city of Tlemcen, and about the most important scholars who emerged during the days of the Zianites, and about their various fields of thought.

Keywords: Tlemcen ؛ the scholars ؛ Banu Zayan ؛ poets ؛ the culture**.**

مقدمة:

حظيت تلمسان في العصر الزياني بمكانة مرموقة من بين مدن المغرب الأوسط حيث أولاها سلاطين بنو زيان أهمية كبرى فجعلوها عاصمة لهم ، فاستقدموا إليها عددا كبيرا من العلماء و المحدثين و الأدباء و أشأوا الكثير من المدارس العلمية و الفكرية ، ومن هذه المدارس نجد المدرسة التاشفينية ،كما تم إنشاء مدارس أخرى خلال الوجود المريني في تلمسان فتم بناء مدرسة العباد ،واهتموا كذلك بناء المساجد التي كانت بمثابة معاهد تقوم بتلقين الطلبة أصناف شتى من العلوم النقلية و العقلية وكان لهذه المساجد دورا مهما في نشر الوعي والثقافة بين أوساط الطلاب وقد انتشرت كثيرا من العلوم في جميع التخصصات في المغرب الأوسط بصفة عامة وفي تلمسان بصفة خاصة ،

أما عن الإشكالية المطروحة فما هو الدور الأساسي الذي قامت به تلمسان في نشر العلوم عبر حواضر العالم الإسلامي، وما هي علاقة علماء تلمسان بعلماء الحواضر الإسلامية الأخرى، وما هي أهم العلوم التي نبغ فيها علماء تلمسان، وما مكانة العلم و العلماء عند سلاطين بني زيان، ومن أجل الإجابة عن هذه الأسئلة سنتبع المنهج التاريخي في سرد الأحداث، فسنتطرق في هذا البحث إلى دور المغرب الأوسط في نشر العلوم في جميع المجالات في مختلف أقطار العالم الإسلامي، ونتكلم كذلك عن أبرز العلماء الذين أثروا في الحركة الفكرية والثقافية من خلال تجوالهم في حواضر العالم الإسلامي والتقاءهم بشيوخ وفقهاء العالم الإسلامي، ونتحدث كذلك عن أهم المراكز العلمية والثقافية في تلمسان كالمساجد والمدارس العلمية، وسنتحدث عن بعض شعراء تلمسان كابن خميس ونأخذ بعض نماذج من شعره وهو في الغربة .

1- نبذة تاريخية عن مدينة تلمسان:

تعتبر تلمسان من أهم الحواضر الإسلامية، وقاعدة مهمة للمغرب الأوسط، دخلها المسلمون بعد الفتوحات الإسلامية التي قادها أبو المهاجر دينار لما قاد حملة لفتح بلاد المغرب وصولا إلى تلمسان، وقد خضعت هذه المدينة لسلطة المرابطين ثم الموحدين، وفي الأخير خضعت لسلطة الزيانيين وجعلوها عاصمة لدولتهم.

1.1-أصل التسمية:

تقع مدينة تلمسان في الشمال الغربي للجزائر في قارة إفريقيا، وترتفع عن سطح البحر بنحو 830 م، وكلمة تلمسان بلغة البربر حسب يحيى ابن خلدون أنها مركبة من كلمتين "تلم " معناه تجمع و "سان " ومعناه اثنان أي التل و الصحراء، ويقال أيضا "تلشان" مركبة من "تل" أي ومعناه بال ، ومن " شان " ومعناه شأن بمعنى أي لها شأن عظيم [1] وذكر ابن خلدون كذلك أن تلمسان لها خمسة أبواب باب الجياد تجاه القبلة، وشرقا باب العقبة،وشمالا باب الحلوي وباب القرماديين، وغربا باب كشوط [2]، وحسب ما ذكره ابن خلدون أن تلمسان مؤلفة من مدينتين ضمهما سور واحد، الأولى تعرف بأجادير وهي قاعدة المغرب ودار مملكة زناتة، و الثانية تاجرارت بناها يوسف ابن تاشفين بمكان اقامته وأصبحت هذه المدينة أعظم و أشهر من الأولى سنة 462 هـ، وبها الجامع الأعظم وقصور الملك، وبها الكثير من العلماء والأعلام والأولياء ويتميزون بالنجابة في العلم و العبادة [3]

2.1- تلمسان بعد الفتح الإسلامي

تعتبر تلمسان حسب ابن خلدون قاعدة للمغرب الأوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن ولما ولي أبو المهاجر افريقية بين ولايتي عقبة ابن نافع الأولى والثانية توغل في ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت عيون أبي المهاجر قريبا منها [4] ويقول عبد الرحمن بن خلدون عن تلمسان في كتابه تاريخ ابن خلدون[5] مايلي: "ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع الصروح بها بالآجر والفهر تعلى وتشاد، إلى أن نزلها آل زيان واتخذوها دار لملكهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واعترسوا الرياض

1أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير بونطانا الشرقية في الجزائر سنة 1931 ص 9

2 نفسه ص 20

3 أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ص 21

4عبد الرحمن ابن خلدون تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار الفكر بيروت ج7 سنة 2000 ص 102

5عبد الرحمن ابن خلدون نفسه ص 105

والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية، والله وارث الأرض و من عليها.

2- المراكز العلمية والثقافية في تلمسان خلال العهد الوسيط:

عرفت تلمسان خلال العهد الزياني عدة مراكز ثقافية وعلمية تتمثل في المساجد التي بناها سلاطين بني زيان أو تلك التي بناها المرينيون خلال استيلائهم على تلمسان على فترات متفرقة وكانت هذه المساجد بمثابة مدارس تلقى فيها الدروس وتعقد فيها المناظرات العلمية و الفقهية، كما قام سلاطين بني زيان ببناء مدارس علمية تخرج منها عدة علماء في شتى أصناف العلم سواء في العلوم الطبيعية أو العلوم الشرعية.

1.2- أولا المساجد:

لم تكن المساجد في بلاد المغرب الإسلامي يقتصر دورها على العبادة فقط بل كان يتعداه إلى تلقين الطلبة أصناف شتى من العلوم النقلية و العقلية وكان لهذه المساجد دورا مهما في نشر الوعي والثقافة بين أوساط الطلاب، وكانت المساجد قبل تأسيس المدارس والزوايا هي المؤسسة التي تستقبل الطلبة والمصلين في حلقات دراسية داخل المسجد أو في بعض الغرف الملحقة، وكان المسجد عبارة عن جامعة أو معهد بالإضافة إلى كونه مقرا للعبادة تلقى فيه الدروس وتعقد فيه حلقات البحث، وتنظم فيه المناظرات العلمية والحوارات الفقهية والمطارحات الأدبية واللغوية ودروس الوعظ والارشاد، ويجتمع فيه أصحاب المصالح الخاصة والعامة، وكانت تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة، وتمضى فيه العقود التجارية وتصلى فيه الجنازات[6]، و قد ذكر رشيد خالدي من هذه المساجد ما يلي[7]:

المسجد الجامع بأكادير الذي كان موجودا قبل دخول الأدارسة مدينة تلمسان، حيث قام هؤلاء بتوسيعه خلال فترة تواجدهم بتلمسان سنة 174هـ / 790م وتم ترميمه وبناء مئذنته من طرف يغمراسن بن زيان في الفترة الممتدة ما بين 633هـ.681هـ الموافق ل 1236م 1283م.

المسجد الأعظم بتكرارت الذي تأسس على يد السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين أثناء بنائه مدينة تاكرارت سنة 473هـ/ 1082م، وكان هذا المسجد مركزا هاما في نشر الوعي الديني

6عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني الجزائر 2002 ج1 ص 145

7 رشيد خالدي دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 13و 14 م رسالة ماجيستار جامعة تلمسان 2010 2011 ص28

والاشعاع الفكري، وقد تصدى فيه للتدريس أكابر العلماء في المغرب الأوسط ومن مناطق أخرى من البلدان الإسلامية.

جامع سيدي أبي الحسن التنسي، يقع بالقرب من المسجد الأعظم تم بناؤه في عهد السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 680هـ / 1281م.

مسجد أولاد الإمام: قام بإنشاء هذا المسجد السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول حوالي 710هـ/ 1310م.

التعريف بأولاد الإمام :هما عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبو زيد هو و أخوه شقيقه أبو موسى عيسى، وقد ذكر ابن مريم التلمساني في البستان أنهما أبناء الإمام التلمسانيان العالمان الراسخان والمشهوران شرقا وغربا، ونقل عن ابن فرحون في الديباج أن أبا زيد شيخ المالكية بتلمسان العلامة الأوحد وهو أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام التنسي البرشكي، وكانا خصيصين بالسلطان أبي الحسن المريني، ولهما الكثير من التصانيف المفيدة و العلوم النفيسة، وتوفي أبو زيد سنة 743هـ، ونقل ابن مريم عن المقري ما مفاده أنهما رحلا في شبابهما من بلدهما تلمسان إلى تونس فأخذا عن ابن جماعة وابن القطان وغيرهما، وقد رحلا إلى المشرق في حدود 720هـ، ولقيا الكثير من الفقهاء والمحدثين ومن جملتهم ابن تيمية، وقد ناظرا الفقيهان تقي الدبن تيمية وظاهرا عليه ونقل عن المقري أن أبا زيد و أخاه كانا يميلان للاجتهاد ويتركان التقليد، ثم ذكر ابن مريم أن الأخوين ارتحلا من الجزائر إلى مليانة، وبعد ما تم الصلح بين أبي ثابت وصاحب تلمسان رجعا إلى تلمسان فقربهما أبو حمو و أثنى عليهما و اختط لهما بتلمسان المدرسة المسماة بهما مدرسة أولاد الامام، وبقيا معه في هذه المدرسة يدرسون و أقاما عنده على هدي أهل العلم، ثم مع ابنه أبي تاشفين، إلى أن ملك أبو الحسن المريني تلمسان سنة737هـ، و قد تعدت شهرتهما الجزائر إلى المغرب فلما ملك أبو الحسن المريني تلمسان قربهما و أكرمهما ورفع من قدرهما، وتوفي أبو زيد سنة 743هـ، ثم توفي أخوه أبو موسى سنة 749هـ[8] و أما المقري فقد أشاد بفضلها عليه وذكر ذلك في نفح الطيب، بأنه ممن استفاد من علمهما في تلمسان و أخذ عنهما، العالمان الشامخان أبو زيد عبد الرحمن و أبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله ابن الامام[9]، ومن بين الذين تخرجوا على يد ابني الامام نجد الفقيه، أحمد أبو العباس حفيد الشيخ

8 ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان المطبعة الثعالبية الجزائر 1908 ص 124 125

9 أحمد بن محمد المقري التلمساني، تفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج 5، دار صادر بيروت 1968 ص215

محمد بن مرزوق: ولد الشيخ ليلة الاثنين من شهر الله المحرم سنة 681هـ قرأ القرآن عن الشيخ يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي، وأخذ ببلده عن الفقيهين الأخوين أبي زيد و أبي موسى ابني الامام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الامام، وصفه ابن مريم بأنه كان رجلا قانتا ورعا زاهدا صاحب كرامات، وكان مبرزا في القراءة و التعليم، قرأ عليه كثير من أهل تلمسان، وقد ذكر بعض شيوخ تلمسان أنه كان مجاب الدعوة، كما قرأ القرآن كذلك عن أبي محمد عبد الواحد المستاري [10]

مسجد إبراهيم المصمودي: تم بناؤه من طرف السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني، وقد تصدى للتدريس فيه المحدث و المفسر الشيخ أبو عبد الله الشريف [11] .

مسجد أبو مدين شعيب: حيث أمر ببناء هذا المسجد السلطان المريني أبو الحسن سنة 739هـ / 1338 م وكان هذا المسجد قبلة لطلاب العلم والمعرفة ومن بين العلماء الذين درسوا في هذا المسجد نجد ابن خلدون وابن مرزوق والآبلي.

مسجد سيدي الحلوي: الذي أمر ببنائه السلطان أبو عنان المريني وكان ذلك حوالي 754هـ / 1353م، وقد درس في هذا المسجد نخبة من العلماء، وتخرج منه الكثير من طلاب العلم الذين كان لهم الفضل في نشر الحركة العلمية و الثقافية في أقطار العالم الإسلامي [12] .

2.2- ثانيا المدارس العلمية:

ذكر عبد العزيز فيلالي أن سلاطين بنو زيان قاموا بتشييد المؤسسات التربوية والتعليمية من كتاب وزوايا ومدارس عليا على نمط المدارس النظامية بالمشرق، فالمساجد يتعلم فيها الطلبة مختلف العلوم النقلية والعقلية، وتبنى المدرسة عادة خارج المسجد، ويلحق بالمدرسة جناح خاص، من أجل إيواء الطلبة الغرباء والفقراء و عابري السبيل، والمكتبة وهي خزانة تتضمن كتبا محبسة لفائدة الأستاذة والطلبة، فقد كانت المدرسة تعتمد في تمويلها على الأحباس بالدرجة الأولى ثم على الإعانات التي تأتي من التجار المحسنين والعلماء وميسوري الحال ومن السلطان والأمراء، وقد عرفت مدينة تلمسان ست مدراس، وزعت على أحياء مختلفة من المدينة [13].

10ابن مريم الشريف المديوني التلمساني، السابق ص 27

11 رشيد خالدي دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 13و 14 م ص 29

12 نفسه ص 31

13عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني الجزائر 2002 ج1 ص 141

كما اهتم سلاطين المغرب الأوسط بإنشاء المدارس العلمية من أجل نشر العلم والثقافة، و ظهرت هذه المدارس في تلمسان خلال العقد الأول من القرن 8هـ. 14 م على يد السلطان الزياني أبي حمو موسى الأول 707هـ. 718هـ /1307هـ 1318م [14]، وقد ذكر الوزان أنه توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينة، لها أئمة وخطباء، وخمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية، شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس، كما ذكر كذلك أنه توجد بها الكثير من الطلبة و الأساتذة في مختلف المواد سواء في الشريعة أو العلوم الطبيعية، وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة[15] وقد ذكر ابن الأحمر عن البكري أن تلمسان كانت دائما بلد علم وعلماء ومركز سنة وجماعة، وكان بنو زيان من رعاة العلوم، فاستقدموا أهل العلم و الأدب، و أحاطوا أنفسهم بالفقهاء، وقد كثر في تلمسان أهل التصوف و الصلحاء و العباد [16].

ومن أشهر المدارس العلمية بتلمسان نجد:

مدرسة ابني الإمام التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الأول ما بين الفترة 707هـ. 1307م /718هـ 1318م وقد ذكر ابن خلدون[17] أن زيري كان قد قتل أباهما في برشك، ففر ابنه عبد الرحمن بن محمد الإمام و أخوه عيسى، ولحقا بتونس فاستقرا بها، ثم رجعا إلى الجزائر، ثم انتقلا إلى مليانة ، واستعملهما بنو مرين في القضاء، وبعد وفاة يوسف بن يعقوب وفدا مع عمال بني مرين وقوادهم على أبي زيان و أبي حمو مع منديل بن محمد الكناني صاحب أشغالهم، وكانا يعلمان ولده القرآن، فتوسط لهما عند أبي زيان و أبي حمو و أشاد بمكانتهما في العلم، فقربهما و ابتنى لهما المدرسة، وبنى لهما دارين بجانب المدرسة، و اشتغلا بالتدريس فيها، كما اختصهما بالفتيا و الشورى، فكانت لهما في دولته مكانة عالية.

المدرسة التاشفينية التي أنشأها ابنه أبو تاشفين 718هـ. 1318 م /737هـ .1337م، كما تم أنشاء مدارس أخرى خلال الوجود المريني في تلمسان فتم بناء مدرسة العباد خلال استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة 748 هـ 1348م، و ذكر الوزان أنها مدرسة جميلة جدا، وبها فندق لإيواء الغرباء أسسها بعض ملوك فاس من بني مرين حسب ما يقرأ ذلك في

14 عمارة فاطمة الزهراء المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين 8و9 هـ الموافق ل 14 و15م رسالة ماجيستار جامعة وهران 2009 2010 ص9

15الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1983 ط 2 ج 2 ص 19

16ابن الأحمر تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان تقديم وتحقيق هاني سلامة مكتبة الثقافة الدينية مصر ط1 2001 ص 48

17 عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ج7 ص 133

الرخامتين المنقوش عليهما أسماؤهم [18] كما ذكر الحاج برمضان شاوش في باقة السوسان[19] أن هذه المدرسة هي آخر نموذج بقي قائما من المدارس المشيدة بتلمسان أثناء القرون الوسطى، وتحتوي هذه المدرسة على ستة بيوت لسكنى الطلبة، وداخل كل بيت من بيوت الطلبة توجد كوة مقوسة يضع عليها الطالب المصباح الذي يستضيء به، وكتبه و كراريسه وجميع الأدوات التي يستعملها في الدراسة، و توجد في الطابق العلوي بيوت كذلك لسكنى الطلبة، و أما القاعة المعدة للدراسة والصلاة معا فهي عبارة عن بيت كبي مربع الشكل تحتوي على نوافذ عالية من أجل دخول الضوء كما أسس ابنه أبو عنان مدرسة أمام الولي الصالح سيدي الحلوي، كما أسس السلطان أبو حمو موسى الثاني المدرسة اليعقوبية سنة 765هـ.1364م [20] .

3 - نماذج من بعض علماء تلمسان في العلوم الشرعية:

زاد اهتمام بني زيان بالعلم والعلماء ونتج عن هذا الاهتمام أن زاد عدد العلماء وظهر منهم أعلام واشتهروا في الفقه والأصول والتفسير وعلوم الحديث وكثيرا من العلوم الأخرى، وقد رحل الكثير منهم إلى حواضر العالم الإسلامي في المشرق أو المغرب من أجل التعلم أو التدريس.

3. 1 بعض علماء تلمسان الذين رحلوا في طلب العلم:

رحل الكثير من طلاب العلم في تلمسان إلى المشرق و المغرب أو الحواضر العلمية الأخرى خلال العهد الزياني من أجل الالتقاء بمشايخها والتعلم منهم أو التدريس في مدارسها و قد ذكر عبد العزيز فيلالي[21] عينة من هؤلاء الرحالة نذكر منهم :

الفقيه أبو إسحاق إبراهيم التنسي: المتوفي سنة 680 .1281 م بدأ تعليمه في تنس ومليانة وشلف، وبمدينة تلمسان وبجاية وتونس والقاهرة والشام، وكان التنسي كلما وصل مدينة فاس في زيارة خاصة أو في إطار المهمات الديبلوماسية يجتمع به فقهاء المدينة ويطلبون منه دروسا في الحديث، كما كان يدرس هذه العلوم بمكة والمدينة، وكان يحضر مجلسه عالم فاس في ذلك الوقت أبو الحسن الصغير وصار يعد من أساتذته بهذه الديار.

18الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا دار الغرب الإسلامي ص 24

19 الحاج بن رمضان شاوش باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان ديوان المطبوعات الجامعية ج1 ص 257

20فاقة بكوش، أبو عبد الله المقري ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي رسالة ماجيستار جامعة تلمسان 2011 2012 ص 27

21 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني الجزائر 2002 ج1 ص 329

وكانت له سمعة علمية طيبة في الأقطار التي زارها وله هيبة عند الفقهاء والأمراء على حد سواء[22].

أبو عبد الله محمد النجار ت 750هـ. 1349م: أخذ العلم عن مشيخة تلمسان، ثم ارتحل إلى المغرب الأقصى، حيث درس بمدن مختلفة بسبتة وفاس ومراكش، ثم رجع إلى تلمسان بعلم غزير.

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي ت 757هـ 1356م :درس محمد الآبلي بمدينة تلمسان، وبفاس ثم انتقل إلى مصر وبغداد، ثم رجع إلى تلمسان بعلم غزير من المعقول والمنقول ولازم علماء فاس و مراكش، وانتصب للتدريس في عدة عواصم من بلاد المغرب وحواضره، وانتشر علمه و اشتهر ذكره في الآفاق، كما تعلم على يد عبد الرحمن بن خلدون و أجازه في بعض العلوم كالمنطق وغيرها من العلوم و الفنون الأخرى [23].

أبو عبد الله محمد الحسيني الشهير باسم الشريف التلمساني ت 771هـ. 1369م : تعلم بمدينة تلمسان على كبار شيوخها وحضر المجالس العلمية بتونس وفاس، كما درس أصلا ابن الحاجب عن سعيد العقباني كما درس التفسير والنحو والمنطق[24].

أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الحفيد ت 842. 1438 م: هاجر ابن مرزوق إلى المشرق والمغرب من أجل تحصيل العلم مثل أجداده السابقين له، أخذ العلم عن شيوخ تلمسان في مسقط رأسه ثم انتقل إلى تونس ثم فاس ودرس عن علمائها، ثم رحل إلى الأندلس وعكف على الدراسة فيها، ثم على المشرق حيث درس عن علماء مصر و الحجاز [25]

قاسم بن سعيد العقباني :854هـ 1450م: درس بمدينة تلمسان، ثم هاجر إلى مصر من أجل طلب العلم، فحضر المجالس العلمية التي كان يديرها العالم الشيخ ابن حجر بمصر، كما درس عن علماء آخرين، ثم رجع الى تلمسان بعلم وافر [26].

3. 2 علماء الأصول والفقه في تلمسان:

22عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ص 330
23 عبد العزيز فيلالي، نفسه ص 330
24 نفسه ص 334
25 نفسه ص 335
26 عبد العزيز فيلالي تلمسان في العهد الزياني ص 335

استقطب بنو زيان الكثير من العلماء في جميع المجالات، فزاد عددهم في تلمسان، وظهر منهم أعلام واشتهروا في الفقه أمثال أبو زيد عبد الرحمن بن الامام المتوفي سنة 743هـ الموافق ل1343م الذي الف كتابا ضمنه شرحا وافيا لمختصر أبي الحاجب في الفروع، كما ألف كذلك أبو عبد الله محمد ابن احمد بن عمرو التميمي المتوفي سنة 745هـ الموافق ل 1345م كتابا سماه المدونة في الفروع، كما ألف عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب ما يزيد عن ستة وعشرين مصنفا منها " شرح كتاب المختصر لابن الحاجب " كما ألف محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفي سنة 909هـ الموافق ل 1503 م عدة مصنفات في الفقه منها "مصباح الأرواح في أصول الفلاح "[1] وقد ذكر ابن خلدون أن من العلماء الذين برزوا في أصول الفقه نجد العالم : أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي قنون الذي كان متبحرا في الفقه محققا لأصوله، ترك عدة مؤلفات منها المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى، كان سري الهمة كثير المعروف خيرا فاضلا ولي قضاء الجماعة وكان عادلا وحسن السيرة توفي سنة 557هـ [2]، كما ذكر كذلك ابن مريم في كتابه البستان من العلماء البارزين في الفقه و الأصول نجد العالم الشيخ علي بن محمد التالوتي الأنصاري: كان يحفظ كتاب ابن الحاجب، وكان من أكابر تلامذة أبي الحسن أبركان، كان كثير الذكر والمطالعة، وكثير التعهد لمحفوظاته كالرسالة، وابن الحاجب و التسهيل لابن مالك، وقد جعل لها وردا كل يوم يتعهدها بالمراجعة و التكرار، وقد ورد كذلك أن تلميذه الملالي قد سأله في بعض المسائل الفقهية كجواز صلاة الوتر جالسا فأجاب بأنه فيه قولان بالجواز وعدمه، كان كثير المطالعة لكتاب السهو و التنبيه لسيدي محمد الهواري يقرأه كل يوم، توفي سنة 895 هـ[3]

إبراهيم ابن ابي بكر ابن عبد الله ابن موسى أبو إسحاق الأنصاري التلمساني: هو شاعر و أديب من فقهاء المالكية ولد بتلمسان، انتقل به أبوه به الى الأندلس وهو ابن تسعة أعوام وبها قرأ معظم قراءاته ثم انتقل الى سبتة و استقر بها، وقد نظم في الفرائض وهو ابن ثمانية وعشرين عاما أرجوزة محكمة بعلمها [4] وقد تعلم على يد الشيخ أبي بكر بن دسمان وأبي صالح محمد بن محمد الزاهد وغيرهم و ألف الأرجوزة الشهيرة في الفرائض لم يصنف في فنها أحسن منها، وله منظومات في السير وفي أمداح النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك " المعشرات على أوزان العرب وله قصيدة في المولد الكريم وله مقالة "في علم العروض

1 حساين عبد الكريم قراءة في الحركة الثقافية والفكرية بالجزائر في عهد بني زيان مجلة دراسات جامعة بشار ص 154

2أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ص 24

3 ابن مريم الشريف المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص 140.

4لسان الدين ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 ص 327.

ومن أشعاره ما يلي:

الغَدْرُ في النَاسِ شيمَةٌ سَلَفَتْ قَدْ طالَ بَيْنَ الوَرَى تَصَرُفُهَا
مَا كُلُ مَنْ سَرَتْ لَهُ نِعَمُ مِنْكَ يَرَى قَدْرَهَا وَيَعْرِفُهَا
بَلْ رُبَمَا أَعْقَبَ الجَزَاءَ بِهَا مَضَرَةٌ عَنْكَ عِزُ مصْرِفِهَا
أَمَا تَرَى الشَمْسَ تَعْطُفُ بِالنُورِ بَدْرا وَهُوَ يَكْسِفُهَا [1]

و ذكر ابن الخطيب أنه استوطن غرناطة ثلاثة أعوام ثم رحل إلى مالقة فسكن بها مدة وبها قرأ معظم قراءته ثم انتقل إلى سبتة وتزوج بها أخت الشيخ أبي الحكم مالك بن المرحل، ومن شعره في المديح وهو يمدح الفقيه أبا القاسم العزفي أمير سبتة وهو يقول:

أَرَأَيْتَ مَنْ رَحَلُوا وَزَمُوا العِيَسا وَلاَ نَزَلُوا عَلَى الطُلُولِ حَسِيسَا
أَحَسِبْتَ سَوْفَ يَعُودُ نَسْفَ تُرَابِهَا يَوْمًا بِمَا يَشْفَى لَدَيْكَ نَسِيسَا
هَلِ مِنْ مُؤْنِسٍ نَارًا بِجَانِبِ طُورِهَا لِأَنِيسِهَا أَمْ هَلْ تُحِسُ حَسِيسَا

و ذكر أن مولده كان بتلمسان سنة 609هـ وتوفي بسبتة عام 690هـ [2]

4. بعض شعراء تلمسان في العهد الزياني:

عرفت حاضرة تلمسان عدة شعراء في العهد الزياني الذين تعلقت قلوبهم بموطنهم الأصلي تلمسان ولكن الظروف السياسية جعلتهم يتركون البلد ويختارون المنفى ومن هؤلاء نجد الشاعر ابن خميس الذي غادر إلى الأندلس خوفا من الزيانين وجادت قريحته بالشعر الذي يعبر فيه عن الألم والحسرة على فراق بلده.

4. 1 التعريف بالشاعر ابن خميس التلمساني:

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن خميس المجري الرعيني، يكنى بأبي عبد الله ويعرف بابن خميس ولد بتلمسان عام 650هـ ووصفه لسان الدين ابن الخطيب[3] أنه كان نسيج وحده زهدا وانقباضا وأدبا سليم الصدر قليل التصنع عالما بالمعارف القديمة مضطلعا على النحل، ويعتبر طبقة الوقت في الشعر، أقدر الناس على اجتلاب الغريب ووضع الألفاظ البيانية في مواضعها ، كتب بتلمسان عن ملوك بني زيان، وكان مقربا منهم، حيث ولاه

1لسان الدين ابن الخطيب نفسه ص 328.
2 لسان الدين ابن الخطيب نفسه ص 329.
3لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 ص 377

السلطان أبو سعيد عثمان الأول أمانة سره إلا أنه لم يرغب في هذه الوظيفة[1] ثم فر منهم واتجه نحو المغرب الأقصى حيث نزل مدينة سبتة،فأقام بها مدة ومدح رؤساءها من بني العزفي، وتولى مهنة التدريس فيها، ثم ركب البحر متجها إلى بلاد الأندلس، حيث استقر في مدينة المرية حوالي سنة 702هـ الموافق ل 1303 م ثم قدم إلى غرناطة سنة 703هـ ، وأصبح في كنف الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم فضمه إلى مجلسه في أواخر سنة 703هـ الموافق ل 1304م ، وبقي ابن خميس في كنف الوزير ابن الحكيم إلى أن توفي بغرناطة قتيلا يوم عيد الفطر سنة 708هـ الموافق ل1309م [2]ووصفه المقري[3] أنه كان من فحول الشعراء وأعلام البلغاء حافظا لأشعار العرب و أخبارها كما كان معروفا بالتصوف و التجوال والتحلي بحسن السمت وعدم الاسترسال، ويظهر تصوف الشاعر في قالب معرفي وعقلي، استطاع أن يعبر عن فلسفته الشعرية [4] وكان يحسن الصنع بيديه فقد صنع يوما قدحا من الشمع على أبدع ما يكون في شكله ولطافة جوهره و إتقان صنعته وكتب عليه :

وَماكُنْتُ اِلاَ زَهْرَةً فِي حَدِيقَةِ تَبَسُمُ عَنِي ضَاحِكَاتُ الكَمَائِمِ

فَقُلِبْتُ مِنْ طُورٍ اِلَى طُور فَهَأَنَا أُقَبِلُ أَفِواهَ المُلُوكِ العَظَائِمُ

وأهداها خدمة للوزير أبو عبد الله بن الحكيم

و ذكر المقري [5]أن أبا عبد الله ابن خميس قدم المرية سنة ست وسبع مئة هـ ونزل بها في كنف القائد الحاضر حينئذ أبي الحسن بن كماشة من خدام الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم فوسع له في الايثار وبسط له وجه الكرامة وقال في حقه قصيدته وهو يمدح الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم، توفي يوم مقتل صاحبه الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم سنة 708هـ [6].

4. 2 شعر المديح عند ابن خميس:

قال وهو يمدح الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم

1رشيد خالدي دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 13و 14 م ص 61

2رشيد خالدي نفسه ص 61

3شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني أزهار الرياض في أخبار عياض مطبعة فضالة المعهد الخليفي للأبحاث المغربية بيت المغرب ج2 ص302

4سميحة شرقي فلسفة ابن خميس التلمساني رسالة ماستر جامعة ورقلة 2018 ص 66

5 المقري أزهار الرياض في أخبار عياض ص 303.

6 لسان الدين ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ج 2 ص 404

العَشِيُ تَعْيَا والنَوَاَبِغُ عَنْ شُكْرِ أَنْعُمِكَ السَوَابِغُ

ويقول أيضا وهو يمدح قائد المرية:

وَدَسَائِعُ ابنُ كَمَاشَةٍ مَعَ كُلِ بَازِغَةٍ وَبَازِغٍ

تَأْتِي بِمَا تَهْوَى النَفَا نِعُ مِنْ شُهِيَاتُ اللَغَالِغُ

ومن شعره في المديح وهو يمدح أبا سعيد بن عامر ويذكر الوحشة الواقعة بينه وبين أبي بكر بن خطاب فيقول:

مُشَوِقُ زَالرٍ رِيعَكَ مَحَا آثارَ دِمْنَتِهَا الْتِآمَا

تَتْبَعْ ريقَةَ الطل ارْتِشَافًا فَلاَ نَفَعَتْ وَلاَ نَقَعَتْ أَوَامَا

وَقَبَلَ خَدَ وَرْدَتِهَا جِهَارَا فَمَا رَاعَى لِضَرَتِهَا ذِمَامَا

وَمَا لِحَرِيمِ بَيْتِكَ أَنْ يُدَانَى وَلَعِي قَدرُكَ أَنْ يُسَامَا

3. 4 شعره في ترك ملذات الدنيا:

يقول الشاعر وهو يدعو إلى ترك ملذات الدنيا[1]:

تَرَاجَعْ مِنْ دُنْياكَ مَا أَنْتَ تَارِكُ وَتَسْأَلُهَا الْعُتْبَى وَهَا هِيَ فَارِكُ

تُؤَمِّلْ بَعْدَ التَّرْكِ رَجْعَ وِدَادِهَا وَشَرُّ وِدَادِ مَا تَوَدُّ التَّرَائِكُ

ويقول أيضا:

حلاَ لَكَ مِنْهَا مَا خَلاَ لَكَ فِي الصِّبَا فَأَنْتَ عَلَى حَلْوَائِهِ مُتَهَالِكُ

تَظَاهَرْ بِالسِّلْوانِ عَنهَا تَجَمُّلاَ فَقَلْبُكَ مَحْزونٌ وَثَغْرُكَ ضَاحِكُ

1لسان الدين ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ج 2 ص 379

تَنَزَّهَتُ عَنْهَا نَخْوَةً لا زَهَادَةَ وَشَعْرُ عُذَارِي أَسْوَدُ اللَوْنِ حَالِكُ

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات نفسه ويحثها على ترك ملذات الدنيا، ويحث نفسه على الترفع عن كل مظاهر الترف، ويريد الشاعر أن يوضح لنا أنه مترفع عن ملذات الدنيا، و أنه قد أصبح إنسانا جديدا قد تخلص من هذه الصفات و المتمثلة في الانبهار بملذات الدنيا [1].

4 .4 منزلة ابن خميس بين العلماء:

ذكر المقري أن الشاعر ابن خميس كانت له مكانة مرموقة بين علماء عصره في المشرق وذكر بأن أبا إسحاق التنسي لما توجه من تلمسان إلى بلاد المشرق، واجتمع هناك مع قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد فسأل التنسي عن ابن خميس فكان من قوله له : كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله ابن خميس، وجعل يحليه بأحسن الأوصاف ويطنب في ذكر فضله، فبقي الشيخ أبو إسحاق التنسي متعجبا ، وقال من يكون هذا الذي حليتموه بهذا الحلي و لا أعرفه ببلدي، فقال له هو القائل " عجبا لها أيذوق طعم وصالها "[2] فقال له: إن الرجل عندنا ليس بالحالة التي وصفتم إنما هو عندنا شاعر فقط، فقال له: إنكم لم تنصفوه، و إنه لحقيق بما وصفناه، كما أن قاضي القضاة ابن دقيق العيد قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة له تعلو موضع جلوسه للمطالعة، وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر تأملها و النظر فيها[3].

5.5 ابن خميس بين الحضور والغياب:

أحب الشاعر ابن خميس تلمسان حبا تملك منه كل جوانحه فهو رغم غيابه بجسده في غرناطة إلا أنه حاضر بروحه في بلده الأم تلمسان حيث نراه يتجول بين بساتينها و يذكر معالمها ويستحضر الأماكن و الأشخاص ويذكر ذلك بالتفصيل فكثيرا ما نجد الشاعر وهو في موقف الحنين يورد أسماء الأماكن و الأشخاص وهو يتألم بسبب بعده عنها ويأخذه الحنين إليها ويلح على ذلك ويذكرها بالتفصيل ويصفها وصفا دقيقا فنجده يذكر باب الجياد، وساقية الرومي و العباد، و أبو مدين شعيب وصديقه ابن الرشيد، وشلالات الوريط وغيرها من المواضع حيث رغم الغربة المكانية في غرناطة وبعده عنها إلا أنه عبر عن حنينه وشوقه و الآلام التي يعانيها في غربته وهو يتطلع إلى ذلك اليوم الذي يعود فيه إلى وطنه وهذا الحنين

1سعد حمادة جمالية الإغراب في الخطاب الشعري عند ابن خميس التلمساني رسالة ماجيستر 2007 2008 جامعة قاصدي مرباح ورقلة ص 71.

2المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني أزهار الرياض في أخبار عياض ص 322

3 المقري نفسه ص 323

يجعله كثير الذكريات لهذه الأماكن فهو يعيش معها بروحه يتذكرها كل حين و أصبحت جزءا منه لا يكاد ينفصل عنها، فيهزه الحنين إلى الشباب، و إلى زملاء الدرس و إلى منزله الأول، و إلى الأماكن السياحية و الدينية و التاريخية [1].

الخاتمة: في ختام هذا البحث وبعد التطواف بمباحث هذا العمل الأكاديمي، أذكر النتائج التي توصلت إليها:

1. اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم والثقافة وتقريبهم للعلماء والفقهاء
2. التنوع الثقافي والعلمي في جميع المجالات الدنيوية والدينية للعلماء في تلمسان
3. التبادل الثقافي والعلمي بين علماء تلمسان و بين حواضر العالم الإسلامي
4. التأثير الفكري والعلمي لعلماء تلمسان في العالم الإسلامي وذلك من خلال التدريس والتعليم في حواضر العالم الإسلامي في المشرق والمغرب
5. تشجيع سلطات بني زيان على نشر الوعي والعلم من خلال الاهتمام بالعلماء والمدرسين والطلاب

وأما عن التوصيات التي توصلت إليها هي أن تلمسان تزخر بتراث مادي ولا مادي كبير يجب الاعتناء به، والبحث عنه وإخراجه للعلن، وتشجيع البحث في ميدان التراث العلمي لتلمسان خاصة في العصر الزياني من خلال إقامة الملتقيات الوطنية والدولية وذلك بقصد التعاون على نشر العلم والمعرفة وإعطاء الأهمية الكبرى للعلماء والشعراء الذين عرفتهم تلمسان في الحقبة الزيانية.

قائمة المراجع:

1. أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى بغداد
2. أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير بونطانا الشرقية في الجزائر سنة 1931.
3. أحمد بن محمد المقري التلمساني، تفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج 5، دار صادر بيروت 1968.
4. ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان المطبعة الثعالبية الجزائر 1908.
5. الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1983 ط 2.
6. الحاج بن رمضان شاوش باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان ديوان المطبوعات الجامعية ج1.
7. ابن الأحمر تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان تقديم وتحقيق هاني سلامة مكتبة الثقافة الدينية مصر ط1 2001
8. سعد حمادة جمالية الإغراب في الخطاب الشعري عند ابن خميس التلمساني رسالة ماجيستار 2007 2008 جامعة قاصدي مرباح ورقلة.

1مسعود بن ساري ومشري بن خليفة مجلة الأثر العدد 23 2015 شعرية الحنين في شعر ابن خميس التلمساني ص 114.

9. رشيد خالدي دور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرنين 7و8 13و 14 م رسالة ماجيستار جامعة تلمسان 2010 2011
10. سميحة شرقي فلسفة ابن خميس التلمساني رسالة ماستر جامعة ورقلة 2018
11. شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني أزهار الرياض في أخبار عياض مطبعة فضالة المعهد الخليفي للأبحاث المغربية بيت المغرب ج2
12. فاقة بكوش، أبو عبد الله المقري ورحلته العلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الإسلامي رسالة ماجيستار جامعة تلمسان 2011 2012
13. لسان الدين ابن الخطيب الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1
14. عبد الرحمن ابن خلدون تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر دار الفكر بيروت ج7 سنة 2000.
15. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني الجزائر 2002 ج1